الصديق الراحل (*)

اليوم عادت الحوادث ، فاطرح ... عبء السنين ، وألق عبء الداء
خلفت في الدنيا بياناً خالداً ... وتركت أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ، ولم يزل ... للدهر إنصاف وحسن جزاء
« شوقي »

للأستاذ كامل محمود حبيب

من ضنى قلبي أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب ، ومن لوعة الفؤاد أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت ، أيها الرجل ... أيها الإنسان . ومن لهفة الروح أعاني البثّ وهو يتدفق في أعماق دمي لأنني وجدت فقدك في قرارة نفسي ، أيها الصديق .

فلقد كنت — يا صاحبي — غصناً رطيباً سما ثم ذوى وسوّحت أوراقه .

وكنت روحاً تتوهج نبوغاً أشرق وتألق ثم خبا وانطفأ .

وكنت جذوة من عبقريات سطعت في سماء الشعر ثم همدت وجفّت ذبالتها .

وكنت في قيثارة الحياة وتراً حساساً داعبته أنّات الشجون فاهتز يشدو بأنغام السماء .

كنت في قيثارة الحياة وتراً كلما أرسل لحناً هاج للحن فؤاد شجٍ أو حنّ قلب طروب .

كنت في الدنيا لمسة الفن ونور العبقرية . فكان الربيع النضر من صوغ بنانك ، وشذى عطر أفواه الرياحين من فيض جنانك ، وبسمة الأمل الحلو من لحن قيثارك ، والبهجة والشجو من سحر يراعك .

وكنت شباباً عارماً فاض بالبشر فغنى فطرب ، وشدا بالسحر فأراق الدهر للألحان سمعه ، وتغنى فهفا الطير إلى أنغام عوده .

فيا للفجيعة فيك — يا صاحبي — وأنت كنت غصناً رطيباً سما ثم ذوى وسوّحت أوراقه .

* * *

لدى مشرق الحياة تلاقينا ، والدنيا رخاء ودعة . فكنت أنت ريحانة الجمع وروح المجلس وبهجة الحديث ثم مرت الأيام والعيش تلاق وافتراق .

ومنذ أيام تلاقينا وأنت على فراش المرض ، فانصدع قلبي ؛ غير أنك كنت شجاع القلب جريء النفس ثابت الجنان .

ثم جاء النبأ ... فدعني أنشر ضعف نفسي على يدي رفاق ، فإني قوتلاً كتم ضنى قلبي ، أو أستر لوعة فؤادي ، أو أداري لهفة روحي .

دعني أذرف عبرات الحنين على قبر ثوى فيه حبيب . دعني أرسل زفرات الأسى لفراقك أنت أيها الرجل ، أيها الإنسان . دعني أعاني البث وهو يتدفق في أعماق دمي لأنني وجدت فقدك أيها الصديق ...

دعني أرق آلام نفسي بين يدي قبرك العزيز قبل أن يجرفني تيار الحياة القاسي ...

دعني ... دعني أشيعك بنظرات الأسى ونبضات الهمّ ، ثم أناديك — وأنت في طريق الأبدية — وداعاً ... وداعاً ، أيها الحبيب ...

كامل محمود حبيب

(*) هو الشاعر البشري الحبيب المرحوم علي محمود طه الذي عصرت غصته يد المنون وهو ما يزال في زهرة العمر وشباب القلب .